نقد ابن تيمية لعقيدة الألوهية في الديانة اليهودية

د. يوسف العايب
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

الملخص:

يتناول هذا المقال جهود ابن تيمية في رده على العقيدة اليهودية، وبالخصوص عقيدة الألوهية، وقد تصدى ابن تيمية لانحرافات اليهود وافتراءاتهم في حق الله تعالى، ونقدهم فيما ذهبوا إليه من خلال مجموعة من المؤلفات القيمة التي يأتي على رأسها كتابه القيم: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وينبني منهجه في النقد من خلال ما ذهب إليه في تقرير التوحيد وتقسيمه إلى ثلاثة أقسام هي توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، والتي جعله المقاييس في نقد فكرة الألوهية في الديانة اليهودية، وهذا ما نحاول بيانه في هذا المقال.

Abstract :

This article examines the efforts of Ibn Taymiyya in response to the Jewish faith, especially the God's divinity, and the critical method of Ibn Taymiyya is based on his experiences in the report of Monotheism and the divided into three sections, which are steps in the critique of the idea of divinity in the Jewish religion, and that's what we're trying declaration to this article

مقدمة:

يتسم مفهوم الألوهية لدى اليهود والنصارى بالإضطراب، وإضفاء الصفات البشرية على الله تعالى حتى تكاد تختلط صفات الله تعالى بصفات الإنسان لدى القارئ للعهد القديم والجديد، فكلاهما –الله والإنسان– يتبادلان الحديث وجها لوجه ويتشاجران وينتصر الإنسان أحيانا كما سيأتي الحديث عنه في ثنايا هذا المقال.

ويتبن للناظر في كتب التراث أن العلماء المسلمين قد أولوا عقيدة الألوهية في الأديان خاصة الكتابية منها –اليهودية والنصرانية– الاهتمام الأكبر، والجهد الأعظم من الدراسة والتمحيص، والرد على هذه العقيدة، ويرجع هذا الاهتمام الكبير إلى عناية القرآن الكريم بإثبات وحدانية الله تعالى ومحاربته لكل مظاهر الانحراف العقدي الذي عرفته البشرية على مر التاريخ.

ويعتبر الشيخ تقي الدين ابن تيمية –رحمه الله– من علماء الإسلام الأوائل الذين اهتموا بالرد ونقد العقائد المنحرفة عن عقيدة التوحيد، سواء أكانت تلك العقائد المنحرفة من داخل الإسلام نفسه أو من خارجه، ومن جملة العقائد والأديان التي اهتم ابن تيمية بالرد عليها ونقدها الديانة اليهودية في شكلها المنحرف، وهذا انطلاقا مما سجله المولى عز وجل عليهم في القرآن الكريم من البعد عن التوحيد والدين الذي أنزله على أنبيائه ورسله الذين بُعثوا إليهم.

ولا شيء أخطر عند اليهود من الانحراف الذي وقعوا فيه في اعتقادهم في الله تعالى، فقد حرفوا التوراة التي جاء بها موسى –عليه السلام– وعوضا عن كونها مجموعة من الوصايا مكتوبة على عدد من الألواح، أصبحت مجموعة كبيرة من الأسفر والكتب المنسوبة زورا إلى موسى –عليه السلام–، كما لم يتورعوا مع أنبيائهم ورسلهم الذين بعثهم الله إليهم لهدايتهم

وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فاتهموهم بالفواحش والموبقات، وكذبوهم وقتلوا من لم يطعهم في عصيانهم وتمردهم على الله تعالى.

ولكن الانحراف الكبير كان في لب الدين الذين جاء من عند الله تعالى على لسان أنبيائه ورسله، ألا وهو الانحراف العقدي، خاصة ما تعلق منه بالإلهيات، فقد حرف اليهود اعتقادهم في ألوهية الله تعالى، وأن الأديان الوضعية التي تفتري على الله الكذب والبهتان.

ولقد انبرى الشيخ ابن تيمية –رحمه الله– للرد على ما افتراه اليهود في حق الله تعالى، ونقدهم فيما ذهبوا إليه من خلال مجموعة من المؤلفات القيمة التي يأتي على رأسها كتابه القيم: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وكتابه: الرسالة التدمرية، والفتاوى، واقتضاء الصراط المستقيم، وكتاب الإيمان، وكتاب درء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنة، وغيرها من الكتب التي سنعتمد عليها لبيان كيفية دفاع ابن تيمية على عقيدة التوحيد ورده على فكرة الألوهية في الديانة اليهودية.

وسنتطرق في ثنايا المقال إلى كيفية رد ابن تيمية على الاعتقاد اليهودي حول الذات الإلهية من خلال دفاعه عن أقسم التوحيد الثلاثة والتي هي: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وقد وجه –رحمه الله– نقده إلى جملة من الافتراءات التي تمس بأقسام التوحيد الثلاثة.

أولا: نقد اعتقاد اليهود في ربوبية الله تعالى:

يؤمن اليهود بوجود الله تعالى، لكن لا يوجد خلط في الاعتقاد في الذات الإلهية في دين من الأديان مثلما يوجد في الديانة اليهودية، سواء أتعلق ذلك بربوبية الله تعالى أو ألوهيته أو في أسمائه وصفاته، فالمطالع لكتاب اليهود يجد خلطا كبيرا فيما يتعلق بالخلق والتدبير وملك الكون، وهذا من خلال النصوص المبثوثة في كتابهم، فالأصل في اعتقادهم أن الله تعالى هو الخالق

للكون المدبر لما فيه، المحيي والمميت، لا يشاركه أحد في ذلك، لكن في نفس الوقت توجد نصوص أخرى تثبت وجود غير الله تعالى يتصرف في الكون أو يسيطر عليه أو يتأثر به.

وليس الغرض من البحث أثبات النصوص التي تثبت توحيد الربوبية لله تعالى، وإنما الغرض هو بيان انحراف اليهود في هذا النوع من التوحيد وغيره، لذا سنذكر بعض النصوص التي تقدح في توحيد الربوبية في الديانة اليهودية وكيف تصدى لها الشيخ ابن تيمية بالرد والتفنيد وبيان شناعتة افتراءها على الذات الإلهية، ومن تلك النصوص ما يأتي:

أ- "في ذلك الزَّمان، يَقولُ الرَّبّ، يُخرِجونَ عِظامَ مُلوكِ يَهوذا وعِظامَ رُؤَسائِه وعِظامَ الكَهَنَةِ وعِظامَ الآنبِياءِ وعِظامَ سُكَّانِ أُورَشَليمَ مِن قُبورِهم، وَينشُرونَها تُجاهَ الشَّمسِ والقَمَرِ وكُلِّ قُوَّاتِ السَّماءَ الَّتي أَحَبُّوها وعَبَدوها وساروا وَراءَها وآلتَمَسوها وسَجَدوا لَها، فلا تُجمعُ ولا تُدفَن، وتَكونُ زِبلاً على وَجهِ الأَرض"[1]. وهذا النص يثبت بأن اليهود عبدوا القمر والشمس وسجدوا لهما اعتقاد منهم بأن لهما أثرا على البشر في نشر أمراض الجنون والصرع[2].

ويرد ابن تيمية –رحمه الله- على هذا الاعتقاد الفاسد الذي يطعن في ربوبية الله تعالى بأن جميع المخلوقات والتي منها الكواكب والشمس والقمر مربوبة لله لأنها من جملة الحوادث، وما كان حادثا لك يكن سببا للخير ولا للشر يقول رحمة الله عليه: "العلماء متفقون على إثبات حكمة الله في خلقه وأمره، وإثبات الأسباب والقوى، وليس من السلف من أنكر كون حركات الكواكب قد تكون من تمام أسباب الحوادث، ... وقد ثبت في الصحيحين عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده.."، ومن هذا يتضح أن -

[1]- إرميا: 8: 1- 2.

[2]- قاموس الكتاب المقدس، ص: 743.

الشمس والقمر والكسوف وغيره- من آيات الله يخوف الله بها عباده قال تعالى: " **وَمَا نُرْسِلُ بِالْآَيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا** "[1].[2]

ب- "وانتَهى اللهُ في اليَومِ السَّابعِ مِن عَمَلِه الَّذي عَمِلَه، واستَراحَ في اليَومِ السَّابعِ من كُلِّ عَمَلِه الَّذي عَمِلَه، وبارَكَ اللهُ اليَومَ السَّابعَ وقَدَّسَه، لأَنَّه فيه استَراحَ مِن كُلِّ عَمَلِه الَّذي عَمِلَه خالِقًا"[3].

وهذا النص ينسب لله -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- التعب والنصب لأنه احتاج للراحة بعد خلق السماوات والأرض، فهو يدل على ضعف الإله وعدم كمال قدرته، وقد رد القرآن الكريم على هذا الافتراء: "**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ** "[4].

كما أن هذا النص وغيره من النصوص التي تنسب للإله بعض الصفات البشرية التي تحط من قيمة الإله وتقدح في مقام الربوبية مثل النص الذي ينسب للإله الندم "فعَدَلَ الرَّبُّ عنِ الإساءَةِ الَّتي قالَ إِنَّه يُنزِلُها بِشَعبِه"[5]، وفي نص آخر ندم الرب على خلق الإنسان لما رآه متماديا في الفسد على الأرض: "فَندِمَ الرَّبُّ على أَنَّه صَنَعَ الإِنسانَ على الأَرض وتأَسَّفَ في قَلبِه"[6].

ويرد ابن تيمية على هذه النصوص التي تقدح من مقام الربوبية وتجعل من الخالق مخلوقا، فتشبيه الله تعالى ووصفه بالصفات البشرية يطعن في ربوبيته الكاملة والشاملة، يقول -رحمة الله

---

[1]- الإسراء: 59.

[2]- ابن تيمية، الرد على المنطقيين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص: 270.

[3]- التكوين: 2، 2.

[4]- سورة ق: 38.

[5]- الخروج: 32، 14.

[6]- التكوين: 6، 6.

عليه-: "قد ثبت بالعقل ما أثبته السمع من أنه سبحانه لا كفء له ولا سمي له، وليس كمثله شيء فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات"[1].

ثانيا: نقد اعتقاد اليهود في ألوهية الله تعالى:

1- نقد عبادة اليهود للأصنام:

كان تأثر اليهود بالأمم الوثنية المجاورة لهم مبكرا حتى في حياة موسى –عليه السلام- وهذا ما سجله المولى عز وجل عليهم في القرآن الكريم حيث يقول تعالى: "**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**"[2].

ومن النصوص التوراتية التي تثبت انحراف اليهود في عقدية الألوهية وعبادتهم للأصنام ومعبودات الأمم الوثنية ما جاء في سفر القضاة: "فأَقامَ بَنّو إِسْرائيلَ بَينَ الكَنْعانِيِّينَ والحِثِّيِّينَ والأَموريِّينَ والفَرِزِّيِّينَ والحُوِّيينَ واليَبوسِيِّين، واتَّخَذوا بَناتِهم زَوجاتٍ لَهم وأَعْطَوا بَناتِهم لِبَنيهم، وعَبَدوا آلِهَتَهم،وصَنَعَ بَنو إِسْرائيلَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبّ، ونَسوا الرَّبَّ إِلهَهم، وعَبَدوا البَعْلَ والعَشْتاروت، فغَضِبَ الرَّبُّ على إِسْرائيل، وباعَهم إِلى يَدِ كوشانَ رِشَعْتائيم، مَلِكِ أَدوم ، واستُعبِدَ بَنو إِسْرائيلَ لِكوشانَ رِشَعْتائيمَ ثَمانِيَ سِنين".[3]

كما جاء في سفر إرميا ما نصه: "وقُلْ: اِسمَعوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يا مُلوكَ يَهوذا ويا سُكَّانَ أُورَشَليم. هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إِلهُ إِسْرائيل: هاءَنَذا أَجلبُ على هذا المَكانِ شَرّاً، كُلُّ مَن سَمِعَ بِه تَطِنُّ أُذُناه،لِأَنَّهم تَرَكوني وشَوَّهوا هذا المَكان، وأَحرَقوا فيه البَخورَ لِآلِهَةٍ أُخْرى لم يَعرِفوها

[1]- ابن تيمية، الرسالة التدمرية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، ط: 6، 2000، ص: 55.

[2]- الإعراف: 7.

[3]- سفر القضاة: 3، 5- 8.

هم ولا آباؤُهم ولا مُلوكُ يَهوذا، ومَلأُوا هذا المكانَ مِن دَمِ الأَبرياء، وبَنَوا مَشارِفَ البَعْلِ لِيُحرِقوا بَنيهم بِالنَّارِ مُحرَقاتٍ لِلبَعْل، مِمَّا لم آمُرْ بِه ولم آتكلَمْ بِه ولم يَخطُرْ بِبالي"[1].

ويرد ابن تيمية على هذا الانحراف العقدي الذي يمس توحيد الألوهية بقوله: "وكانت بنو إسرائيل أمة عاصية تارة يعبدون الأصنام والأوثان، وتارة يعبدون الله، وتارة يستحلون محارم الله بأرض الجبل فلعنوا على لسان داود"[2].

ويقول -رحمة الله عليه- في الجواب الصحيح: "أما الذين ظلموا فما يشك أحد أنهم اليهود الذين سجدوا لرأس العجل وكفروا بالله مرار كثيرة ليست واحدة وقتلوا أنبياء الله ورسله **وعبدوا الأصنام**"[3].

2- نقد عبدتهم للعجل:

اشتهر اليهود بعبادة الحيوانات كالأغنام والعجول والحيات، كما اشتهروا بصناعة التماثيل على هيآتها[4]، ومن أشهر تلك المواقف القادحة في ألوهية الله تعالى والتي تعبد بها اليهود لغير الله، عبادتهم للعجل وصناعة العجل الذهبي في حياة موسى -عليه السلام-، وقد ورد هذا في التوراة نفسها حيث جاء في سفر الخروج: "ورأى الشَّعبُ أَنَّ موسى قد تَأَخَّرَ في النُّزولِ مِنَ الجَبَل، فاجتَمَعَ الشَّعبُ على هارونَ وقالوا له: ((قُمْ فآصنَعْ لَنا آلِهَةً تَسيرُ أَمامَنا، فإِنَّ موسى، ذلك الرَّجُلَ الَّذي أَصعَدَنا مِن أَرضِ مِصْر، لا نَعلَمُ ماذا أَصابَه فقالَ لَهم هارون: ((اِنزِعوا

---

[1]- سفر إرميا: 19، 3- 5.

[2]- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط: 3، 2005، ج: 28، ص: 606.

[3]- ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن ناصر، عبد العزيز إبراهيم العسكر، دار العاصمة، الرياض، ط: 1، 1414، ج: 2، ص: 44.

[4]- أحمد شلبي، مقارنة الأديان، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، ط: 8، 1988، ص: 181.

حَلَقاتِ الذَّهَبِ الَّتي في آذانِ نِسائِكُم وبَنيكُم وبَناتِكُم، وأتوني بِها)). فنَزَعَ كُلُّ الشَّعبِ حَلَقاتِ الذَّهَبِ الَّتي في آذانِهِم، وأَتَوا بِها هارون. فأَخَذَها وصَبَّها في قالَب، وصَنَعَها عِجْلاً مَسْبوكاً. فقالوا: ((هذِه آلِهَتُكَ، يا إِسْرائيل، الَّتي أَصعَدَتكَ مِن أَرضِ مِصْر)) فلَمَّا رأى هارونُ ذلك، بَنى مَذبَحاً أَمامَ العِجْلِ ونادى قائلاً: ((غَداً عيدٌ لِلرَّبّ)). فبَكَّروا في الغَدِ وأَصعَدوا مُحرَقاتٍ وقَرَّبوا ذَبائِحَ سَلامِيَّة، وجَلَسَ الشَّعبُ يَأكُلُ وَيشرَب، ثُمَّ قامَ يَلعَب.

والنص كما يفتري على الله الكذب يفتري على هارون الكذب كذلك من خلال جعله السبب في عبادة اليهود للعجل، فمن خلال النص هو الذي صنع العجل وأمرهم بعبادته، هذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم.

ويرد ابن تيمية على هذه الافتراءات في الجواب الصحيح بقوله: "ضرب أهل مصر العشر ضربات وهم يرون ذلك جميعه، ويعلمون أن الله يصنعه لأجلهم، وأخرجهم من مصر بيد قوية وشق لهم البحر وأدخلهم فيه، وصار لهم الماء حائطا عن يمينهم وحائطا عن شمالهم، ودخل فرعون وجميع جنوده في البحر وبنو إسرائيل ينظرون ذلك، فلما برز موسى وبنو إسرائيل من البحر وخلفهم فرعون بجنوده فيه أمر الله موسى أن يرد عصاه إلى الماء فعاد الماء كما كان، وغرق فرعون وجميع جنده في البحر، وبنو إسرائيل يشهدون ذلك، فلما غاب عنهم موسى أتى الجبل ليناجي ربه وأخد لهم التوراة من يد الله، تركوا عبادة الله ونسوا جميع أفعاله وكفروا به وعبدوا رأس العجل من بعد ذلك"[1].

3- نقد عبادتهم الملائكة:

نهى المولى عز وجل عن عبادة الملائكة في القرآن الكريم: "**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**"[2]، كما بين تعالى أنه لا أحد

[1]- اين تيمية، الجواب الصحيح، ج: 3، ص: 226.

[2]- آل عمران: 80.

يستنكف عن عبادته حتى الملائكة المقربون "**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**"[1].

وقد ثبت كما يذكر هذا العلامة ابن حزم في كتابه "**الفصل**" أن اليهود قد عبدوا الملائكة، فكان لهم ملك خصصوا له عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدونه فيها، ويطلقون على هذا الملك اسم "الرب الصغير"[2].

وقد رد ابن تيمية على هذه الانحراف العقدي، حيث أشار أن أهل الكتاب عبدوا الملائكة استشفاعا بهم عند الله تعالى، وهذا من الشرك في العبادات التي لم يأذن الله بها[3].

فالمشركون هم الذين يخاطبون الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم[4]، على الرغم كما يقول ابن تيمية أن جميع هؤلاء مخلوق لله تعالى، يقول –رحمه الله–: "قالت طائفة من العلماء: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح وغيرهما، فبين الله تبارك وتعالى أن هؤلاء عباده كما أنتم عباده يرجون رحمته كما ترجون رحمته ويخافون عذابه كما تخافون عذابه ويتقربون إليه كما تتقربون إليه وقال تعالى: "**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**"[5]."[1].

---

[1]- النحل: 49.

[2]- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ج: 1، 223.

[3]- ابن تيمية، الفتاوى، ج:1، ص: 158.

[4]- ابن تيمية، الفتاوى، ج: 1، ص: 126.

[5]- آل عمران: 79.

ويبن –رحمة الله عليه- كفر من اعتقد نفع الملائكة أو الأنبياء لذواتهم في تفسير الآية السابقة فيقول: "فيبين الله تعالى أن من اتخذ الملائكة والأنبياء أرباب فهو كافر مع اعتقاده أنهم مخلوقون فإنه لم يقل أحد قط أن جميع الملائكة والنبيين مشاركون لله تعالى في خلق العالم وقد قال تعالى: "**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**"[2]، وقال: "**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**"[3] فأخبر سبحانه عن المشركين أنهم كانوا يقرون بأن خالق العالم واحد مع اتخاذهم آلهم يعبدونهم من دون الله يتخذونهم شفعاء إليه أو يتقربون بهم إليه"[4].

ويرد ابن تيمية على اليهود وغيرهم ممن يعتقدون في وساطة الملائكة والبشر بقوله أن من اعتقد أن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره الملائكة أو الأنبياء فهو كافر لأن الله يعلم السر وأخفى، قال تعالى: "**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**"[5].

ومن اعتقد أن الله عاجز عن تدبير رعيته لذا لا بد من أعوان من ملائكة وبشر فقد كفر، لأن الله تعالى ليس له ظهير ولا ولي من الذل، قال تعالى: "**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**"[6].

ومن عتقد بأن الله لا يريد النفع لرعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه لذلك فقد كفر كذلك، فمن كان يعتقد أن من الملائكة أو البشر من له دور في تحريك إرادة الله لجر نفع لأي

---

[1]- ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج: 1، ص: 122.

[2]- يوسف 106.

[3]- لقمان: 25.

[4]- ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج: 1، ص: 123.

[5]- الشورى: 11.

[6]- سبأ: 22.

كان فقد أشرك بالله، فلا يوجد كما يقول ابن تيمية من يكرهه تعالى على خلاف مراده، أو يعلمه ما لم لم يكن يعلم، أو من يرجوه الرب ويخافه[1].

4- نقد توسلهم وعبادتهم للأنبياء:

لقد نهى النبي –صلى الله عليه وسلم- عن اتخاذ القبور مساجد ومعابد، لكي لا تصبح كما فعل اليهود بقبور أنبيائهم وصالحيهم، فحولوها إلى أوثان تعبد من دون الله تعالى.

وقد ذكر هذا ابن تيمية في كتابه "**اقتضاء الصراط المستقيم**" فقال: "روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي قال: "سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم- قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك"... ثم ذكر ابن تيمية تعليقه على الحديث متناولا سبب النهي فقال: "إنه –صلى الله عليه وسلم- ينهانا عن ذلك، ففيه دلالة على أن اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا، إما مظهر للنهي وإما موجب للنهي وذلك يقتضي أن أعمالهم دلالة وعلامة على أن الله ينهانا عنها، وأنها عِلّة مقتضية للنهي"[2].

ثم يضيف ابن تيمية وجوب اجتناب ما فعله اليهود بقبور أنبيائهم قائلا: "وعلى التقديرين يعلم أن مخالفتهم أمر مطلوب للشارع في الجملة والنهي عن هذا العمل بلعنة اليهود والنصارى مستفيض عنه –صلى الله عليه وسلم- ففي الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: (**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)[3]، وفي لفظ مسلم (**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[1]**)"[2].

---

[1]- ابن تيميه، الفتاوى، ج: 1، ص: 126- 128.

[2]- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ج: 1، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط: 1، 1404هـ، ص: 292.

[3]- صحيح البخاري، 55/ 437.

وأكد ابن تيمية أن النهي عن اتخاذ القبور مساجد والتوسل بالأنبياء وقبورهم كما هو منهي عنه في الإسلام ومن الرسول –صلى الله عليه وسلم- هو منهي عنه في شريعة موسى –عليه السلام–، فقد ورد في سفر التثنية ما نصه: " إذا دَخلتَ الأرضَ الَّتي يُعْطيكَ الرَّبُّ إلهُكَ إيَّاها، فلا تتعَلَّمْ أن تَصنَعَ مِثْلَ قَبائِح تِلكَ الأُمَم، لا يَكُنْ فيكَ مَن يُحرِقُ اَبنَه أَوِ اَبنَتَه بالنَّار، ولا مَن يَتَعاطى عِرافةً ولا مُنجّمٌ ولا مُتَكَهِّنٌ ولا ساحِر، ولا مَن يُشَعوِذُ ولا مَن يَستَحضِرُ الأَشْباحَ أَوِ الأَرْواحِ **ولا من يَستَشير المَوتى،** لأنَّ كُلَّ مَن يَصنعُ ذلك هو قبيحَة عِندَ الرَّبّ، وبسَبَبِ تِلكَ القَبائِح سَيَطرُدُ الرَّبُّ إلهُكَ تِلكَ الأُمَمَ مِن أَمامِكَ"[3].

وقد أشار ابن تيمية إلى هذه النقطة في الفتاوى حيث يقول –رحمه الله-: "وهذا الذي نهى عنه النبي –صلى الله عليه وسلم- من هذا الشرك –زيارة الأنبياء والمشايخ للتوسل إليهم أو سؤال الله بهم أو سؤال الله عندهم- هو كذلك في شرائع غيره من الأنبياء ففي التوراة أن موسى عليه السلام نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات وغير ذلك من الشرك"[4].

5- نقد عبادتهم لأحبارهم:

أخبرنا القرآن الكريم عن عبادة اليهود لأحبارهم وعلمائهم، وذلك بطاعتهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، فقال تعالى عنهم: **"اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون"**[5].

---

[1]- صحيح مسلم: 530.

[2]- ابن تيمية، الفتاوى، ج: 11، ص: 11.

[3]- التثنية: 18، 9- 12.

[4]- ابن تيمية، الفتاوى، ج: 1، ص: 357.

[5]- التوبة: 31.

وقد شرح الرسول –صلى الله عليه وسلم- كيفية عبادة اليهود لأحبارهم في حديث عدي بن حاتم، الذي أخبره بأنهم يطيعون أحبارهم فيما يحلونه ويحرمونه عليهم من أوامر وتشريعات بغير ما أنزل الله إليهم[1].

وهذا عين ما جاء في التلمود الذي يعرف عند اليهود بالتوراة الشفهية "**اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء**"[2]، كما تعتبر أقوال الحاخامات عند اليهود أفضل من أقوال الإله نفسه "**إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الإله**"[3].

وقد أشار ابن تيمية إلى أن اليهود عبدوا الرجال من دون الله إذ قالوا لن نسبق أحبارنا بشيء فما أمرونا بشيء ائتمرنا به وما نهونا عنه انتهينا، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فكانت تلك عبادتهم لهم، فهم لم يصلوا ويصوموا لهم ويدعوهم من دون الله تعالى، لكن حرموا لهم ما أحله الله تعالى، وأحلوا ما حرمه الله تعالى فأطاعوهم في ذلك، واستشهد الشيخ ابن تيميه بالآية من سورة التوبة السابقة[4].

ثم تناول ابن تيمية حديث عدي بن حاتمخلال تفسير آية التوبة فقال رحمه الله: "وفي حديث عدي بن حاتم وكان قد قدم على النبي –صلى الله عليه وسلم- وهو نصراني فسمع

---

[1]- منصور عبد الوهاب، فتاوى الحاخامات رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010، ص: 123.

[2]- شمعون مويال، التلمود أصله وتسلسله وآدابه، ترجمة: الدكتورة ليلى أوالمجد والدكتور رشاد الشامى، دار الثقافية للنشر، القاهرة، ط: 1، 2004، ص: 72

[3]- نفس المرجع: ص: 72.

[4]- ابن تيمية، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1983، ص: 61.

هذه الآية قال: فقلت: أنا لسنا نعبدهم قال: "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت بلى، قال: فتلك عبادتهم"[1].

وقد أكد ابن تيمية أن طاعة المخلوقين في معصية الخالق من الشرك في ألوهية الله تعالى، فالآية اختتمت بتنزيه المولى عز وجل نفسه عن شرك اليهود لاتخاذهم أحبارهم من دونه فقال تعالى منكرا ذلك عليهم: " **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**"[2].

كما بين –رحمة الله عليه– أن حال كل من العابد لغير الله ومعبوده في نار جهنم والعياذ بالله، مستدلا بقوله تعال: " **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**"[3]، وقوله أيضا: " **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**"[4].

6- نقد عبادتهم للشيطان:

لم يرد في توراة اليهود بأنهم عبدوا الشيطان مباشرة، لكن الشيخ ابن تيمية يرى بأنهم عبدة للشيطان، سواء أعلنوا ذلك أم لا، وقد بنى ابن تيمية رأيه نتيجة عصيانهم وخروجهم عن طاعة وعبادة الله تعالى، وتبديل شرع الله وما أنزله على أنبيائه ورسله بأقوال وأفعال الأحبار والحاخامات.

كما أن الخروج عن عبادة الله هو في نظر ابن تيمية عين الانقياد والطاعة والعبادة للشيطان، فيقول رحمة الله عليه: "ما دام الكافر كافرا فإنه لا يعبد الله، وإنما يعبد الشيطان،

---

[1]- ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج: 1، ص: 344.

[2]- التوبة: 31.

[3]- الصافات: 22- 23.

[4]- الأنبياء:98.

سواء كان متظاهرا، أو غير متظاهر به كاليهود، فإن اليهود لا يعبدون الله وإنما يعبدون الشيطان، لأن عبادة الله عز وجل إنما تكون بما شرع وأمر، وهم وإن زعموا أنهم يعبدونه فتلك الأعمال المبدلة والمنهي عنها هو يكرهها ويبغضها وينهى عنها فليس عبادة"[1].

وقد استدل ابن تيمية على ما ذهب إليه بقوله تعالى: " **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**"[2]، وقوله أيضا: " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**"[3].

وقد بين بأن المقصود من الطاغوت في الآتين بقوله: "وقد أخبر الله عن اليهود بأنهم عبدوا الطاغوت وهو اسم جنس يدخل فيه الشيطان والوثن والكهان والدرهم والدينار"[4].

فبين رحمة الله عليه بأن اليهود لا يعبدون الله، بل يستكبرون عن عبادته، فهم معطلون لعبادة الله، متبعون لأهوائهم عابدون للشيطان، كما قرر ابن تيمية كذبهم في قصدهم لعبادة الله تعالى إذ قالوا: نحن نقصد عبادة الله، وبين أن عبادتهم إنما تتجه لمعبودهم المتصف بالصفات التي وصفوه بها من الفقر والبخل والعجز، هذه الصفات التي إنما تصدق على الشيطان، إذ يتنزه الله عنها، قال رحمه الله: "والرسول والمؤمنون لا يعبدون هذا المعبود التي تعبده اليهود، فهو منزه عما وصفت به اليهود معبودها من جهة كونه معبودا لهم، منزه عن هذه الإضافة، فهو ليس

---

[1]- ابن تيمية، الفتاوى، ج: 16، ص: 556.

[2]- المائدة 60.

[3]- النساء 51.

[4]- ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج: 2، ص: 47.

معبودا لليهود وإنما في جبلاتهم صفات ليست في صفاته زينها لهم الشيطان فهم يقصدون عبادة المتصف بتلك الصفات وإنما هو الشيطان"[1].

7- عبادة الكواكب:

تأثر اليهود بالأمم الوثنية التي تعبد الكواكب والشمس والقمر والظواهر الكونية من دون الله تعالى، وقد ثبت ذلك في كتابهم في أكثر من موضع، منها ما جاء في سفر حزقيال: "ثُمَّ أَتى بي إِلى دارِ بَيتِ الرَّب الدَّاخِلِيَّة، فإِذا عِندَ مَدخَلِ هَيكَلِ الرَّبِّ، بَينَ الرِّواقِ والمَذبَح، نَحوُ خَمسَةٍ وعِشرينَ رَجُلاً ظُهورُهم إِلى هَيكَلِ الرَّبِّ ووُجوهُهم نَحوَ الشرق، وهُم يَسجُدونَ لِلشَّمْسِ نَحوَ الشَّرْق."[2].

كما جاء في سفر إرميا ما يثبت عبادتهم للشمس والقمر: "وَينشُرونَها تُجاهَ الشَّمسِ والقَمَرِ وكُلِّ قُوَّاتِ السَّماءَ الَّتي أَحَبُّوها وعَبَدوها وساروا وَراءَها وآلتَمَسوها وسَجَدوا لَها، فلا تُجمعُ ولا تُدفَن، وتَكونُ زِبلاً على وَجهِ الأَرض."[3].

وقد حرم المولى عز وجل عبدة الشمس والقمر والكواكب بقوله: " **لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**"[4].

كما بين ابن تيمية –رحمه الله– أن في القرآن الكريم الرد على الذين عبدوا الكواكب والشمس والقمر وذلك في خطاب الخليل إمام الحنفاء إبراهيم –عليه السلام– وأشار إلى أن

[1]– ابن تيمية، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، جمع وتقديم: محمد السيد الجلنيد، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط: 2، 1984، ج: 2، ص: 232.

[2]– حزقيال: 8، 16.

[3]– سفر إرميا، 8، 2.

[4]– فصلت: 37.

هؤلاء العبدة هم من الصابئين المشركين الذين علماؤهم الفلاسفة اليونانيون وقد اتخذوا الأصنام على صور الكواكب وطبائعهم، فكان ذلك من أعظم أسباب عبادة الأصنام"[1].

ثالثا: نقد اعتقاد اليهود في صفات الله تعالى:

هناك العديد من النصوص التوراتية التي تثبت لله تعالى صفات الكمال والجلال، ولكن في نفس الوقت هناك الكثير من النصوص التي تنتقص من جلال الله تعالى وصفاته العليا، وسنذكر في الآتي بعض هذه النصوص التي فيها افتراءات على الصفات الإلهية وكيف رد عليها ابن تيمية –رحمه الله–.

أ– الافتراء على الله واتهامه بالفقر والبخل والتعب:

فقد ثبت في القرآن الكريم هذه حيث قال تعالى: "**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**"[2]، وفي هذا يقول ابن تيمية: "أما التوحيد، فإن اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فوصفوا الرب سبحانه بصفات النقص التي يختص بها المخلوق، فقالوا أنه فقير وبخيل، وأنه تعب وغير ذلك"[3]، واستدل رحمة الله عليه بالآية السابقة من سورة آل عمران على اتهام الله تعالى بالفقر، وبقوله تعالى: "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**"[4] على اتهامه تعالى بالبخل، وبالتوراة نفسها على

[1]– ابن تيمية، الفتاوى، ج: 2، ص: 446.

[2]– آل عمران: 181.

[3]– ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج: 4، ط: 2، 1991، ص: 78.

[4]– المائدة: 14.

الافتراء على الله واتهامه بالتعب، وقد ساق النص الآتي للدلالة على ذلك[1]: " وانتهى اللهُ في اليَومِ السَّابِعِ مِن عَمَلِه الَّذي عَمِلَه، واستَراحَ في اليَومِ السَّابِعِ من كُلِّ عَمَلِه الَّذي عَمِلَه"[2].

ب- الافتراء على الله واتهامه بالبكاء والحزن والندم:

وقد وردت هذه الصفات جميعا في التوراة اليهودية، فعن الحزن جاء في العهد القديم ما نصه: "يَقولُ الرَّبّ: لا دَواءَ لِحَسرَتي فإِنَّ قَلْبي فِيَّ سَقيم"[3]، وفي نص آخر نجد: " ورأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنسانِ قد كَثُرَ على الأَرض وأَنَّ كُلَّ ما يَتَصوَّرُه قَلبُه مِن أَفْكار إِنَّما هو شَرٌّ طَوالَ يَومِه، فَندِمَ الرَّبُّ على أَنَّه صَنَعَ الإِنسانَ على الأَرض وتأَسَّفَ في قَلبِه"[4].

وفي الندم نجد النص الآتي: " فعَدَلَ الرَّبُّ عنِ الإِساءَةِ الَّتي قالَ إِنَّه يُنزِلُها بِشَعبِه"[5].

ويرد ابن تيمية على جملة هذه الصفات المشينة بقوله: "اليهود الذين يصفونه بالبكاء والحزن وعض اليد حتى جرى الدم ورمد العين وباللغوب والفقر والبخل وغير ذلك من النقائص التي يجب تنزيه الله تعالى عنها، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا"[6].

ت- نسبة الولد لله تعالى:

زعمت فرقة الصدوقيين بأن الله قد اتخذ عزيرا ولدا، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم، حيث جاء في سورة التوبة قوله تعالى: "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**"[7].

---

[1]- ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج: 4، ص: 233.

[2]- التكوين: 2، 2.

[3]- إرميا: 8، 18.

[4]- التكوين: 6، 5- 6.

[5]- الخروج: 32، 14.

[6]- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج: 4، ص: 236.

[7]- التوبة: 20.

وفي سفر التكوين نصوصا تثبت لله تعالى الولد، فله مجموعة من الذكور تزوجت حسنوات الآدميين، وأنجبوا منهن نسلا يمتاز ببسطة الجسم هم الجبابرة: "ولَمَّا اَبتَدَأَ النَّاسُ يَكثُرونَ على وَجهِ الأَرض، ووُلِدَ لَهم بنات، اِستَحسَنَ بَنو اللهِ بَناتِ النَّاس. فاَتَّخَذوا لَهم نِساءً من جَميعِ مَنِ اخْتاروا. فقالَ الرَّبّ: ((لا تَثْبتُ رُوحي في الإِنسانِ لِلأَبَد، لأَنَّه بَشَر، فتكونُ الأُمُه مِئَةً وعِشرينَ سَنَة)). وكانَ على الأَرضِ جَبابِرَةٌ في تِلكَ الالأُم، وبَعدَ ذلك أَيضاً حينَ دَخَلَ بَنو اللَهِ على بَناتِ النَّاس فوَلَدْنَ لَهم أَولادًا، هُمُ الأَبطالُ المعْروفونَ مُنذُ القِدَم"[1].

وقد أشار ابن تيمية إلى هذا الافتراء، وقال بأن طائفة الصدوقيين هي التي قالت بهذه المقولة[2]، وزعمت بأن عزير هو ابن لله تعالى، وقد اورد رحمه الله حكاية عن افترائهم قوله تعالى: **"وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"**[3].

خاتمة:

وفي ختام البحث يتبين لنا أن منهج ابن تيمية –رحمه الله– في نقد عقيدة الألوهية في الديانة اليهودية تقوم على منهجه في تقرير التوحيد الإسلامي، فهو ينقد عقيدة الألوهية اليهودية انطلاقا بما تقرر عنده في التوحيد الإسلامي حول عقيدة الألوهية وما يخص الذات الإلهية ذاتا وصفات.

فالتوحيد عند ابن تيمية لا يكون إلا بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهذا ما لم يكن في الديانة اليهودية التي تشرك بالله وتفتري على الله الكذب، كما تنسب من الأقوال والأفعال ما يطعن في ربوبية الله الكاملة إلهيته الشاملة وفي صفاته العليا وأسمائه الحسنى.

---

[1]- التكوين: 6، 1- 4.

[2]- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط: 1، ج: 3، ص: 37

[3]- التوبة: 29.

وفي تصدي ابن تيمية لهذه الافتراءات ودفاعه عن التوحيد الكامل والشامل، لم يخرج ابن تيمية عن حدود النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، مشيرا في بعض الأحيان إلى بعض النصوص التوراتية التي تثبت التحريف والتألي على الله تعالى والخدش في ألوهيته الكاملة والشاملة.